

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين

موضوع البحث: فضائل الامام السجاد(ع) (1390/9/29)

بمناسبة شهادة الامام السجاد (عليه السلام) ساعرض عليكم مطالب مختصرة:

ان كل امام من الائمة (ع) كان مظهراً لركن من الاركان الاساسية للدين، فبعضهم مظهر للجهد والحرب وفي نفس الوقت يتمتعون بالصفات الكمالية الاخرى ايضاً، وهذا لا يعني انهم لا سامح الله كانوا ضعفاء في الصفات الاخرى.

وكان الامام الباقر والامام الصادق(عليهما السلام) مظهراً لركنين التعليمي والارشادي ومبينان للقران الكريم والاحكام. فاساس المذهب يبتني على روايات الامام الباقر والصادق(عليهما السلام) واما الامام السجاد(عليه السلام) فكان مظهراً للعبودية.

اذا لاحظ الانسان الظروف التي كان يعيشها الامام السجاد (عليه السلام) والحوادث الكثيرة التي واجهها والتي من اهمها واقعة كربلاء التي هي واقعة مؤلمة وفاجعة كبيرة والتي لا يمكن ان يتصور مصيبة اكبر منه، وايضا الوقائع التي حصلت بعد ذلك والتي واجهها الامام (عليه السلام).

فهذا النوع من الحوادث ينبغي ان يمنع الانسان بحسب الظاهر عن العبادة لله، اي ان الانسان كما يتوجه نحو الصمود والدفاع والثورة والجهد وفي نفس الوقت يختار هذا الطريق وهو طريق العبودية.

الا ان البارز من حياة الامام السجاد (عليه السلام) هو عبادته ولكن عندما يرى الانسان حياة الامام السجاد (عليه السلام) يجد فيها العلم والمسائل التربوية والاخلاقية والعلم باقسامه المختلفة التفسير والفقه وسائر اقسام العلوم فقد خلف لنا الامام السجاد(عليه السلام) ميراثاً قيماً.

الا ان الواقع هو: ان الامام (ع) قد ابدع في مسألة العبادة الى حد اعترف بذلك المؤلف والمخالف، وانه لا مثيل له في زمانه او قبل زمانه بالعبادة (ما عدا جده امير المؤمنين(ع))، ولا بد لنا ان نقف عند ذلك قليلاً:

قد ورد في كثير من الكتب انه كان يصلي الف ركعة في اليوم واللييلة، ان هذا عمل ثقيل جداً. كان لديه 500 نخلة كان يصلي الى جنب كل واحدة منها ركعتين، فكان في حالة العبادة دائماً بحيث روى من كان يخدم في بيت الامام وقد ثبت ان بعضهم يقول: نحن لم نتمكن ان نقدم له طعاما في النهار ولا ان نقدم له في ليل فراشاً ليسترى عليه.

ان التحدث بهذا الامر سهل، ولكن العمل به صعب جداً، بحيث ياتي كل انسان بعد كل هذه الوقائع والحوادث الصعبة التي مرت عليه فكيف يكون له كل هذا الصمود ويعبد الله تعالى بهذا الشكل؟ وهذا يحكي عن تأصل حب الله تعالى وتأصل ايمانه بالله تعالى.

وهنا توجد تعابير تشير الى بعضها:

(1) حينما يتوضأ الامام (عليه السلام) للصلاة : «كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) إِذَا تَوَضَّأَ اصْفَرَ لَوْنُهُ فَيَقُولُ لَهُ أَهْلُهُ مَا هَذَا الَّذِي يَغْشَاكَ فَيَقُولُ أَتَدْرُونَ لِمَنْ أَتَاهَبُ لِلْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ» [بحار الأنوار 46: 73]؛ والان نحن نتوضأ ونصلي ونتم صلاتنا ويحتمل ان لا نتوجه حين الصلاة الى اننا نقف امام من؟ ولكن الامام من حين الوضوء تكون لديه هذه الحالة.

يقول الامام الباقر (عليه السلام) «كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ كَأَنَّهُ سَاقُ شَجَرَةٍ لَا يَتَحَرَّكُ مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا حَرَّكَهُ الرِّيحُ مِنْهُ» [الكافي 3: 300]؛

(2) في بعض الروايات الاخرى ان الامام كان يصلي فوقعت عباته فقالوا له بعد ان اتم الصلاة ان عباتك وقعت اثناء الصلاة، فلم يكن الإمام ملتفتاً الى ذلك، اي انه لم يغفل عن الله بهذا المقدار بحيث يهتم بعباءته كي لا تقع، ولكننا نحن في حالة الركوع والسجود نهتم بالعباءة كي لا تقع، فالامام هكذا كان توجهه لله تعالى.

(3) وقد سمعنا هذه القضية وانتم سمعتم بها ايضا وهي ان الامام (ع): «سَقَطَ لَهُ ابْنٌ فِي بَرٍّ فَتَفَزَّعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لِذَلِكَ حَتَّى أَخْرَجُوهُ وَكَانَ قَائِمًا يُصَلِّي فَمَا زَالَ عَنْ مِحْرَابِهِ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ مَا شَعَرْتُ إِنِّي كُنْتُ أَنَا جِي رَبًّا عَظِيمًا»؛ [بحار الأنوار 46: 100]

فهذه ليست قصصاً بل هي امر واقعي ومن الصعب علينا فهمها، فنحن لابد ان نجعل الامام زين العابدين (عليه السلام) قدوة لنا، خصوصاً في باب العبادات. فعلينا ان ننظر حقيقة حينما نبدأ بالصلاة وحتى ننتهي كم هو مقدار توجهنا الى الله تعالى؟ قال الامام (ع) «مَا شَعَرْتُ إِنِّي كُنْتُ أَنَا جِي رَبًّا عَظِيمًا»؛ اي ان الانسان حينما يتكلم مع موجود عظيم (الله تبارك وتعالى) فلا يمكنه ان يسمع صوتاً اخر فاين صلاتنا من صلاة الامام السجاد (عليه السلام)؟

(4) قصة جابر الانصاري وقد نقلت ايضا في الكتب وكان جابر بن عبد الله الانصاري صحابيا جليل القدر وقد ادرك الامام الباقر (عليه السلام)، فكان الناس يرون كثرة عبادته ياتونه احيانا ويعترضون عليه وقد جاء هذا الامر في تاريخ حياة الامام السجاد (عليه السلام) وان جابر واولاد الامام احيانا يعترضون على الامام ويوصونه بالرفق على نفسه.

وهذه قصة جدا لطيفة قال الامام الباقر (عليه السلام) «أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ لَمَّا نَظَرَتْ إِلَى مَا يَفْعَلُ ابْنُ أَخِيهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّأْبِ فِي الْعِبَادَةِ، أَتَتْ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ حِزَامٍ الْأَنْصَارِيَّ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَ مِنْ حَقِّنا عَلَيْكُمْ أَنَّ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدَنَا يَهْلِكُ نَفْسَهُ اجْتِهَادًا أَنْ تُذَكِّرُوهُ اللَّهَ وَ تَدْعُوهُ إِلَى الْبُقْيَا عَلَى نَفْسِهِ وَ هَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بَقِيَّةُ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ، قَدْ انْخَرَمَ أَنْفُهُ، وَ تَفَنَّتْ جَبْهَتُهُ وَ رُكِبَتْهُ وَ رَاحَتَاهُ دَأْبًا مِنْهُ لِنَفْسِهِ فِي الْعِبَادَةِ . . .»؛

فجاء جابر الى الامام السجاد (عليه السلام) فرأى الامام في محراب العبادة فلما اتم الامام الصلاة: قال جابر: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ (تَعَالَى) إِنَّمَا خَلَقَ الْجَنَّةَ لَكُمْ وَ لِمَنْ أَحَبَّكُمْ وَ خَلَقَ النَّارَ لِمَنْ أَبْغَضَكُمْ وَ عَادَاكُمْ، فَمَا هَذَا الْجَهْدُ الَّذِي كَلَّفْتَهُ نَفْسَكَ فَقَالَ الامام (عليه السلام) «يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَ مَا تَأَخَّرَ فَلَمْ يَدَعْ الْجِتْهَادَ لَهُ».

وفي الرواية ان الامام (عليه السلام) لما وصل الى هذا الموضع قال «بِأَبِي هُوَ وَ أُمِّي»؛ قد عبد الله تعالى حتى تورمت قدماه الشريفتان وقد اعترضوا عليه فقيل له «أَفَعَلَ هَذَا وَ قَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ؟»؛ فقال: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»؛ فاجاب الامام (ع) جابر ولم يتمكن جابر من الكلام وقد اورد العلامة المجلسي هذه الرواية في بحار الانوار ، ج46 فلاحظوا بقية الرواية.

واريد ان اقول ان من جملة الامور التي اصبحت قليلة الاهتمام في الحوزة مسألة العبادة فقد كان الطلاب قديما وجههم تحكي عن انهم قد احيوا الليل بالعبادة وتحكي انهم يقومون الليل حقيقة فهل اهل المناجاة والنوافل ولكن الان وللأسف اصبح هذا الامر قليلاً. فعلياً بمراجعة انفسنا.

ان الامر الاساسي في حوزتنا حقيقة هو الجانب العبادي والتهديبي بان نتمكن عن طريق العبادة وتهذيب النفس ان نصل الى منزلة، والا فما فرق الآخرين عنا فان الآخرين ايضاً لديهم جهود علمية في جوانب اخر واقعاً، لكن الشيء الذي يميزنا عن الآخرين هو الجانب التهديبي فنسال الله تعالى ان نكون بدعاء الامام السجاد (عليه السلام) من العباد الحقيقيين.